أسئلة حاسمة في رسم معالم الوجود المشترك بين الإسلام وغيرهم عند الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

الدكتور هشام مصباح
باحث أكاديمي جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة ٢، مهتم بقضايا الحداثة وما بعد الحداثة، الجزائر
hicham.philo21@gmail.com

Critical questions in drawing the features of the joint existence between Islam and others according to Imam Ali bin Musa Al-Ridha (peace be upon him)

Dr. Hisham Mesbah
Academic researcher Abdelhamid Mehri Qusanutina University 2 , interested in issues of modernity and postmodernism , Algeria

الملخص:-

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام رمز من رموز الأمة الإسلامية الخالدة أسمائهم في تاريخ الإنسان المسلم المنتمي إلى هوية الدين الإسلامي ومعاني الشريعة السماوية المقدسة التي رسّخت دعائم العلم والمعرفة وجعلتهم الأساس الأول والأخير عبر تعاقب الأزمنة وتتابعها، ولأن الدراسة الموضوعية لحياة الأئمة وكبار علماء الأمة تقتضي تقصي الحقائق بحدرٍ وعدم الانسياق وراء كل الأفكار الموجودة التي لها دوافعها وأسبابها الأيديولوجية والسياسية خصوصا في المرحلة الراهنة وما يميّزها من تغيّرات شملت جميع مناحي الحياة الإنسانية دون أي استثناء، فتجربة العيش المشترك والتعايش بين الشعوب والأمم هي دعوة دينية قبل أن تكون مطلب إنساني.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي بن موسى الرضا، الدين الإسلامي، العيش المشترك.

Abstract:-

Imam Ali bin Musa al-Ridha (peace be upon him) is one of the eternal symbols of the Islamic nation, their names in the history of the Muslim human being belonging to the identity of the Islamic religion and the meanings of the sacred divine law, which established the foundations of science and knowledge and made them the first and last foundation through the succession and succession of times, and because the objective study of the lives of the imams and the great scholars of the nation requires the investigation of facts Be wary and not be drawn into all existing ideas that have ideological and political motives and causes, especially in the current stage and the changes that characterize it, including all aspects of human life without any exception. The experience of coexistence and coexistence between peoples and nations is a religious invitation before it is a human demand.

Key words: Imam Ali bin Musa al-Ridha, the Islamic religion, coexistence.

المقدمة:ـ

مما لا شك فيه أن الحديث عن الإنسان وواقع حياته ووجوده وتجربة العيش مع ذاته وغيره تقتضي دائما الرجوع إلى تلك الروافد المتينة والعرى الوثقى التي تتجلى من خلالها قيمة الذات الإنسانية في البحث عن معنى حقيقي لوجودها وخلاصها من براثن أفكار وهمية لطالما شوهت مسارها وحرّفت جوهرها، لتختزل الأشياء في غير ما وجدت له وتعطي مفاهيم مغلوطة لا أساس لها من الصحة خصوصا في ظل تنوع الخطابات وتعددها وادعاء الصحة واحتكار الحقيقة من طرف البعض منها دون غيرها، فكان الصراع ونبذ الأخر رفض وجوده سمة طاغية على الحياة الإنسانية سواء بين المسلمين وهم تحت ملة واحدة ودين موحد ينير ظلامهم ويشد أزرهم في الظروف الصعبة الحرجة أو بين غيرها من الملل الأخرى التي استأثرت بالخطيئة وهي مدركة لها ادراكاً لا يخلو من الشك أو التزعزع عن الصحة واليقين المطلق.

دائما كان الصراع على امتلاك الحقيقة والاستئثار بها من القضايا المحورية والحاسمة التي شغلت حيزا جوهريا داخل أبنية الفكر الإنساني على اختلاف مشاربه وتنوع مذاهبه وتفسيراته الكثيرة سواء داخل فضاء الخطاب الديني أو السياسي الذي لطالما كان مرافقا للوعاء الديني وفق ثنائية التناقض مرات والتصالح والتفاهم مرات أخرى، والعودة إلى قراءة التاريخ الإنساني عموما والإسلامي على وجه الخصوص أفضل الأدلة على ذلك، في زمن فقد وثوقيته وتغلفت بأغلفة متعددة قد لا تكون صحيحة ومع ذلك يطالب الكثير من أدعياء الحقيقية وسفرائها بأن تكون وحدها الممكنة وما عدا ذلك فلا وجود لها على الاطلاق، لذلك كانت المهمة الأساسية للأئمة ودعاة الفكر الديني الأصيل التصدي لهذه الأفكار الهدامة عبر التاريخ والوقوف ضد المشاريع المزيفة التي تريد تزييف الحقيقية وجعلها موالية لأغراضهم المختلفة من زوايا متعددة ووفق رؤى يصنعونها بأنفسهم ويعملون على صنع من يتبعهم في ذلك سواء بموافقتهم أو مكرهين على ذلك.

ولعل من أهم الأئمة وأشهرهم الامام علي بن موسى الرضا بمنهجه العرفاني القويم الذي شمل مناحي معرفية شتى دار حولها عقله المستنير بحثاً عن الحقيقة التي لطالما حث الدين الإسلامي على معرفتها والغوص في دراستها دراسة متأصلة أصيلة هدفها وغاياتها

الادراك الفعلي ومجابهة الأفكار الهزيلة التي تنخر جسد الأمة وتغوص داخلها عميقاً فيصعب ايجاد الدواء الملائم لها، ومن ثمة المسائل السلبية اللصيقة به من زوايا متعددة ومختلفة في الوقت ذاته، فقد عرف عن الإمام موسى الرضا رضوان الله عليه الكثير من المناقب الفريدة والأخلاق الرفيعة التي تصلح للبحث فيها ودراستها في أبعادها العالمية وليست فقط في العالم الإسلامي فقط.

من هذا المنطلق سنحاول في ورقتنا البحثية هذه الوقوف على أهم النقاط الحاسمة والجوهرية في حياة الامام موسى الرضا خصوصا المتعلقة بالبعد الإنساني والأخلاقي المتعلق بحياته ومساره الفكري الإنساني، ومن ثمة تحليل جملة الأفكار المهمة وانعكاساتها على الصعيد الخصوصي والعالمي من زوايا متعددة مختلفة في الوقت ذاته، فكيف يمكن الاستفادة من ترسانته الفكرية المتعددة في الواقع الإسلامي الراهن بصفة خاصة، فماهي أهم الأسئلة الحاسمة التي شكلت منابع أفكاره الجوهرية؟ وكيف يمكن الاستفادة من هذه المشاريع وتجلياتها على الواقع الراهن؟

المحور الأول

قراءة في تاريخ حياة الإمام علي بن موسى الرضا

تمهيد:

لعل من أهم بوادر التحدث عن حياة الأئمة والصالحين وكبار العلماء في مجتمع ما وفي فترة زمنية معينة يتطلب ضرورة امتلاك سمات الروح العلمية التي تتقصى الموضوعية في جميع صورها وأشكالها، كونها من القضايا المتداخلة مع قراءات ذاتية لم يكن هدفها يوماً الوصول إلى معرفة حقيقية تستفيد منها البشرية بقدر ما كانت الغاية المنشودة تشويه صور البعض منها أو تزييف الحقائق وطمس معالم تلك المعرفة القوية المنبعثة من قلب التمسك بقيم الدين الإسلامي العالمية الكونية والصورة الكاملة التي جاء بها الإسلام منظماً وراعياً ومرافقاً لكل تطورات الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان.

من هذا المنطلق تأتي هذه القراءات في حياة الإمام موسى الرضا لتسلط الضوء على مجموعة من الإشكاليات الكبرى والحوادث التي ميّزت حياته والظروف السياسية الموجودة في تلك المرحلة في ظل الخلافة العباسية مع المأمون وغيرها من الأحداث الكبرى التي عرفتها

الدولة الإسلامية المتصارعة مع بعضها البعض حول كرسي الحكم وتوريث الخلافة وولاية العهد باعتبارها من النقاط المهمة ذات الأولوية في تاريخ الدولة الإسلامية التي وجدت نفسها عرضة للانزلاق في متاهة السياسة ونفاقها التاريخي وأطماع الذات المحبة للتملك والعاشقة لحب ذاتها والانفراد بالخلافة مند مراحل أولى متقدمة من مسارها التاريخي.

لا يمكن فهم حياة الإمام موسى الرضا دون تعرية ترسانة المفاهيم التي سيطرت على كافة مجالات الحياة في تلك الفترة الزمنية والنزعات الكبيرة التي سيّطرتْ عليها في كافة مراحلها بداية مع عصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي شكلت البداية الأولى للخلاف السياسي على السلطة مع معاوية بن أبي سفيان ومن ثمة الشرارة الأولى لصراع مزقً جسد الأمة وسفك دماء المئات من الأبرياء خوفاً على ذهاب الملك وزوال الإمارة، ومن ثمة الأبعاد المخفية في تحليل مفهوم السياسة في الإسلام مند مراحلها الأولى وحتى المرحلة العباسية مع المأمون باعتبارها الفترة التي وُجِدَ فيها الإمام موسى الرضا.

الإمام موسى الرضا من الأئمة المنتمين إلى آل بيت الرسول ﷺ من خلال نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لذلك فنسبهم عريق وشريف يمتد إلى الجذر الطاهر والنقي لأفضل خلق الله محمد المبعوث رحمة للبشرية ومخلصها من الوثنية والشرك الجاهلي الذي أفقد الإنسان معنى الإنسانية وشوه صورته السوية المفطور عليها وعلى حمل رسالة الوجود في هذا العالم، تلك الرسالة التي تختزل في مضمونها معنى الحياة والغاية منها، ومن ثمة الهدف الحقيقي الذي سعى إليه الرسل والأنبياء مند تاريخ الإنسان القديم.

١ـ الواقع الإسلامي السياسي والصراع على السلطة قبل حياة الإمام علي بن موسى الرضا:

كانت الحياة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ حياة متكاملة في جميع مجالاتها وجوانبها فقد أرسى الرسول الكريم قوام دولة قوية تستمد مشروعيتها القانونية والسياسية من دستور الله تعالى المقدس القرآن الكريم وما ورد فيه من تعاليم تمس الحياة الواقعية الدنيوية والحياة الأخروية الأمر الذي نتج عنه وحدة المجتمع وسموه عن غيره من المجتمعات الأخرى التي لم تستطع أن تضمن هذه الوحدة بين أفراد مجتمعها.

لقد كانت الرسالة السماوية واضحة المعالم دقيقة المعاني تغلّبُ حب الله ورسوله

وعبادته على كل أمور الحياة الزائلة فسادت أخلاق كريمة في التعامل بينهم مبنية على قيم الدين الإسلامي وتفوقت على عصبية القبيلة والعشيرة والانتماء والطبقية وغيرها من المفاهيم التي كانت عند العرب قبل الإسلام، فلم يبقى الافتخار بالنسب واحتقار الناس والسيطرة على مختلف جوانب الحياة من طرف فئة الأسياد وغيرها من المظاهر التي عمل الإسلام على علاجها بالتدريج إلا أن بلغ مرحلة من النضج العقلي والأخلاقي النابع من دستور القرآن الكريم، فاضحت الشعوب والأمم خائفة مرتبكة من قوة المسلمين ووحدتهم وتمسكهم برسالة الدين ووصايا الرسول الكريم الذي نجح في صناعة وعي إسلامي عظيم شهد له به الأعداء قبل الأصدقاء، فلم يجرؤ أي شخص في عهد الرسول الهاشمي أن يفكر في الإمارة أو الإمامة أو خلافة الرسول ﷺ لأن ذلك يعتبر من الأمور الخارجة عن الدين وعن غاية الإنسان المخلوق من أجل غاية العبادة وشكر الله تعالى على جزيل نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فالقائد والأمير هو الرسول الكريم الذي هيّأ لحمل رسالة تأن الجبال من ثقلها وتخرّ قوى الجبابرة لعظيم مسؤوليتها في الدنيا والأخرة.

هكذا نجح المسلمين في وضع قواعد متينة لمدينة الإسلام والانتقال بها من مرحلة مظلمة مرعبة إلى مرحلة مضيئة مشرقة نورها غطى الأفاق وشعاعها بلغ مشارق الأرض ومغاربها، حيث اتسعت حدود الدولة الإسلامية بفضل الفتوحات الإسلامية ونشر تعاليم الإسلام في طل بقعة ممكنة من هذا العالم، فنتج عن ذلك ازدهار العلوم المختلفة وتنوع حقول المعرفة وثقافات الشعوب والأمم لأنها انفتحت على عوالم أخرى وثقافات وحضارات لم تكن موجودة في مكة أو المدينة فساعد ذلك على نمو حضارة الإسلام المنفتحة على كافة العلوم والمعارف بغض النظر عن صاحبها أو ديانته، وهو الأمر الذي جعل منها حضارة قوية متماسكة لها أسسها المتينة الصلبة التي لا يمكن زعزعتها بأي حالٍ من الأحوال، حضارة لم يعرف التاريخ مثلها والتاريخ أفضل الشهود على ذلك، ولو تكلمنا عنها فلن تكفي مجلدات طويلة لسرد مظاهرها المتنوعة في كافة ميادين الحياة الإنسانية.

أ- الخلافة أول مسألة سياسية في تاريخ الدولة الإسلامية:

لماذا تعتبر الخلافة أو الإمامة هي القضية السياسية الأولى التي فرّقت وحدة الأمة الإسلامية وجعلتها تعيش تحت وطأة الصراع والنزاع؟ نعم تلك حقائق تاريخية تغوص في

حضارة الإسلام العريقة وقلعتها الحصينة التي بلغت أوجها في تلك المراحل، ولكن رغم ذلك لم تسلم من دسائس خفية كانت تنخر جسدها وتؤجج لنار الفتنة الحارقة متى أتيحت الفرصة لها.

فقد عرف التنافس على السلطة في العصر العباسي مراحل عديدة ميّزتها مجموعة من التحولات ذات الأبعاد السياسية والدينية في الوقت ذاته لأنها مرتبطة بمسألة الخليفة بعد الرسول ﷺ بين الدولة الأموية من جهة والعباسية من جهة أخرى، فمفهوم التنافس على السلطة لم يبقى مجرد تنافس بل سرعان ما تحول إلى صراع وتناقض كبيرين ساهمت جميعها في بلورة قضايا جديدة لم تكن مطروحة في عصر الرسول الكريم أو الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وإن كانت هناك ارهاصات لذلك الصراع مند اللحظة الأولى في تعيين من يخلف رسول الله بعد وفاته وحادثة سقيفة بن سعد، ثم في عهد عثمان بن عفان والأحداث السياسية التي عرفتها فترة حكمه، ثم فترة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما واشتداد الخلاف بين المسلمين مع تسارع الوقائع وتطورها وغيّرها من الأفكار الأخرى التي كانت ذات علاقة مباشرة بهذه المسألة[١]، التي نجدها حتى في حاضرنا المعاصر ضمن مختلف المقاربات التي اهتمت بمسألة العلاقة بين الإسلام والسياسة والمشكلات السياسية التي سجلها تاريخ الدولة الإسلامية القديم والحديث وحتى المعاصر والراهن فلا يمكن قبول فكرة من دون سبب معين يساهم فيها، تلك الخلافات التي استغلها المستشرقون بشكل كبير ومن ثمة توظيفها في إثارة المزيد من الشائعات المفرّقة للجماعة المسلمة على اختلاف اعراقها وأجناسها وثقافتها، فالتعدد الثقافي والهوياتي من الأمور المستحبة في الدين الإسلامي الذي شجّعَ بشكلٍ مباشرٍ على بلورة مفاهيم جديدة تساير حركية الإنسان في كل زمان ومكان[٢].

قد يتفق معي جميع الباحثين والمشتغلين على إشكالية الخلاف السياسي على السلطة في العالم الإسلامي على أن النقطة الأولى التي شكّلتْ بداية الخلاف هي وفاة الرسول الكريم ﷺ الذي لم يترك أي وصية مكتوبة أو شفهية حول من يخلفه بعد وفاته في تولي شؤون المسلمين والدولة الإسلامية التي اتسع مجالها وتطور نمط حياتها بفعل التمازج والانفتاح على ثقافات وحضارات متنوعة، وبالتالي المكانة الكبرى التي كانت تحتلها على جميع الأصعدة وفي كل المستويات.

فقد تركّزت هذه الخلافات والصراعات بين المسلمين في أمور الحكم والولاية ولم تكن نزاعات دينية في ما تعلق بالجوانب الدينية والعبادة، الأمر الذي يقتضي تقديم صورة موضوعية حول هذه الأزمات الكبرى في مسار الدولة الإسلامية بعد حياة الرسول الكريم، فالمسلمون لم يقاتلوا بعضهم بعضا من أجل تعاليم الدين الإسلامي وما نصت عليه الشريعة الإسلامية الغراء، وإنما حملوا سيوفهم من أجل الظفر بولاية العهد وخلافة المسلمين، حيث يذكر **الشهرستاني** في كتابه الملل والنحل " أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ لم يسل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلَ على الإمامة في كل زمان"[٣]، ويذكر **الأشعري** علي بن إسماعيل في مؤلفه " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:" إن أول ما حدث من اختلاف المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم في الإمامة، كان الاختلاف بعد الرسول في الإمامة ولم يحدث خلاف غيره في عهد أبي بكر أو عمر بن الخطاب إلا أن وليّا عثمان بن عفان وأنكر قوم في أخر أيامه أفعالاً ثم بويع علي بن أبي طالب فاختلف الناس في أمره بين منكرٍ لخلافته ومنهم قاعد عنه، ثم حدث الاختلاف في عهد علي في أمر طلحة والزوبير وحربهما إياه وقتال معاوية"[٤] لذلك كانت البوادر الأولى للخلاف والصراع داخل الأمة العربية الإسلامية الذي بدأت تدخل مرحلة جديدة من تاريخها وليس كما كانت في عهد الرسول ﷺ، وهنا تبرز مجموعة من الأسئلة المحورية في قراءة واقع الدولة الإسلامية وتحولات نمط السلطة السياسية داخلها من شكل إلى أخر خصوصا وأن الأمر ترك لمبدأ الشورى باعتباره الشريعة الإسلامية المذكورة في آيات القرآن الكريم، فجميع الخلافات تزول بقبول الرأي الحكيم وصاحب الحجة العقلية الدامغة النابعة من فهم دستور الأمة الرباني وميزان العقل القويم كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إنها هو إلا وحي يوحى.

ب- الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ:

من المعلوم تاريخيا أن وفاة الرسول ﷺ تركت فراغا عظيما بين المسلمين جميعهم على اختلاف انتماءاتهم وأنسابهم أو أعراقهم فكل هذه الصفات الفيزيولوجية والاجتماعية الوراثية قد زالت تماما في عهد الرسول الكريم وزرع مكانها نوع من القيم الأخلاقية والاجتماعية الجديدة التي تتوافق مع الدين الإسلامي وأخلاق القرآن الكريم، تلك الأخلاق التي حملها الرسول في مجال الأفعال والمعاملات وفي مجال الأقوال والكلمات

وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على الرسالة العظيمة التي هيأ لها النبي الكريم منذ مرحلة ما قبل الدعوة، ومن ثمة تحقيق مناخ خصب لتربية الإنسان وتعليمه وتحضيره بشكل يتناسب مع ثقافته في ذلك العصر وبيئته التي ينتمي إليها أي الصحراء، لأنه لا يعقل أن يخاطب الناس بمفاهيم لا تنتمي إلى عصرهم، لأن الانسان ابن بيئته ومرآة عصره كما يقول ابن خلدون، بعد وفاة الرسول الكريم وانشغال المسلمين بهذه الفاجعة التي ألمت بهم كونهم تعلقوا به إلى أقصى درجات الحب الإنساني حب خالص نابع من صفاء سريرتهم النقية التي خلصها الإسلام من كل الشوائب والأمور السلبية العالقة بها، كان الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بن ساعدة من أجل اختيار خليفة بعد الرسول الكريم حيث تم التوافق على سعد بن عبادة الخزرجي وبعد أن سمع المهاجرين الخبر توجه عمر وأبي بكر الصديق إلى مكان السقيفة حيث تصرف أبي بكر الصديق بحكمة مع الوضع فأعطى للأنصار مكانتهم التي يستحقونها وهم الدين أثنى عليهم الرسول ﷺ وجعلهم من أحبته والمقربين منه، فقال أبي بكر منا الأمراء وأنتم الوزراء فنحن أحق بالخلافة منكم(٥)، وأكمل أبي بكر مخاطبا في الناس والأنصار وهذا عمر بن الخطاب معي الذي قال فيه الرسول الكريم اللهم أعز الإسلام بعمر، وهذا أبو عبيدة الجراح الذي قال فيه أنه أمين هذه الأمة، فأعجبوا الأنصار بذكاء أبي بكر وحنكته في معالجة الأوضاع الصعبة والمستعصية ذات الأبعاد الخطيرة في مصير الأمة الإسلامية ووحدتها التي جمعها الدين الإسلامي تحت راية واحدة لا يمكن الخروج عنها، فردوا عليه الأنصار بقولهم" والله ما كنا نتقدمك وأنت فينا" فتم الخروج بكلمة واحدة متفق عليها من الجميع الأنصار والمهاجرين وهي اختيار الصديق خليفة للمسلمين بعد الرسول الكريم ﷺ وتمت المبايعة اقتداءً بمبايعة النبي ﷺ تحت الشجرة ليكون الرسول الذي ينصرونه ويدافعون عن كلمة الله التي يدعوا إليها ويحث الخلائق على الرجوع إليها لأنهم خلقوا لغاية واحدة فقط وهي طاعة الله تعالى وعبادته ولا وجود لشيء أخر معها، ما تجدر الإشارة إليه هنا كما تذكر المصادر التاريخية التي اهتمت بهذه الحادثة أن بنو هاشم لم يشاركوا في هذا الاجتماع الأمر الذي يحيلنا إلى بعض التساؤلات التي لها أبعادها السياسية بالدرجة الأولى بمعنى محاولة الأنصار استغلال الوضع المتمثل في غياب أهل النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومحاولة اختيار خليفة منهم لأن بنو هاشم كانوا منشغلين بتجهيز الرسول ودفنه ومن ثمة غيابهم عن هذه الوقائع.

كما أن سعد بن عبادة رفض مبايعة أبي بكر الصديق وهنا تبدأ بعض الخلافات بين المسلمين بشكل ضمني، أي وجود بوادر لذلك، وقد استمرت هذه الأوضاع على هذا النحو لأن الأنصار كان تخوفهم الكبير مصدره استئثار القريشيين بالخلافة وهم أهل النبي الكريم، وبالتالي ظهور قراءة أخرى في هذا الصدد تتمثل في خوف الأنصار من أن تؤول الخلافة إلى واحد من قريش ممن يحبون الدنيا فتتولد في داخله نزعة الثأر والانتقام من الأنصار وهم الدين دافعوا عن النبي ﷺ وقدموا له المساعدة، لذلك اقترحوا أن يكون واحد من الأنصار وواحد من المهاجرين، فبعد أبي بكر سيكون واحد من الأنصار وهكذا، ولكن هذا الاقتراح يتولد عنه الكثير من الأحكام لأنه لن يكون بالحل الأنسب خصوصا بعد التغيرات التي ستحدث داخل بلاط الدولة الإسلامية، كما توجد مسألة أخرى لا صلة لها بالأولى وهي امتناع بعض القبائل عن أداء الزكاة في عهد أبي بكر(٦).

من هنا نكون أمام مجموعة من التحولات الجديدة في مفهوم السلطة والخلافة وكيفية اختيار الخليفة منذ تولي أبي بكر أمور المسلمين والعهد به بعده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع الإشارة إلى بروز شخصيات إسلامية أخرى كانت لها طموحات في الخلافة مثل الزوبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وقد اشتدت الصراعات والخلافات بين المسلمين في عهد الخليفة عثمان بن عفان وقتله، معلنة بذلك عن بدايات جديدة في مفهوم الخلافة أو الإمامة داخل الدولة الإسلامية وانفتاح باب الفتنة على مصراعيها وعثمان بن عفان قد تم اختياره بعد أن اختار عمر بن الخطاب مجموعة من الصحابة الأخيار وطلب منهم الاجتماع والاتفاق على واحد منهم يكون الخليفة وفي هذا تحوّلٌ جديد في كيفية تعيين الخليفة دون أن يكون واحد من أبنائه أو عائلته من بين هؤلاء المجتمعين، فقد كان عمر بن الخطاب مدركاً جيدا لمعنى الخلافة ومسؤولياتها العظيمة وإن ضاعت ضاع أمر المسلمين وتفرقت كلمتهم وسهل القضاء عليهم.

أما عهد علي بن أبي طالب ففيه أصبحت الفتنة معلنة أمام الجميع حيث ظهرت فئة رفضت خلافة علي وأنه غير أهل لها ومن بينهم طلحة والزوبير وبداية صراع جديد ستكون انعكاساته طويلة الأمد في تاريخ المسلمين(٧)، ومن بين نتائج ذلك الصراع معركة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان عصبية جديدة أخرجت السيوف من أغمادها لتراق فيها دماء المسلمين وقد عبّر عن ذلك ابن خلدون بقوله:" عصبية مضر في

قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف كانت في بني أمية"[٨]، لتتابع الأحداث حيث خرج العديد من المسلمين على علي بن أبي طالب الذي لم يبادر إلى القوة والغلظة في ردعهم بقوة السيف وإنما دعاهم إلى الحوار واللين من أجل لحمة المجتمع المسلم ومن ثمة تسبيق الدعوة بالحسنى على الرغم من أنها لم تجدي أي نفع معهم وأفضل دليل على ذلك مقتل علي بن أبي طالب الذي كان قد أوصى بالخلافة من بعده إلى ابنه الحسن وقد بايعه الناس على ذلك ليستمر الخلاف والصراع بين معاوية والحسن خصوصا أن معاوية رفض مبايعة الحسن ورأى بأنه الأحق منه بالخلافة وقد نجح معاوية في أخذ المبايعة من الحسن بن علي بن أبي طالب.

وهنا تم التوصل إلى اتفاق بين معاوية والحسن وفق مجموعة من الشروط التي أوردها الحسن ومن أهمها أن يكون الخليفة بعد معاوية بن ابي سفيان ولكن معاوية كان يخفي عكس ما يظهر ليزداد الصراع بشكل كبير وتتحول الخلافة إلى مجال للفتنة والفرقة بين المسلمين[٩]، وقد تحولت الخلافة من الشورى إلى الملكية بعد أن أوصى علي بالخلافة إلى ابنه الحسن وهذا ما عمل معاوية على تطبيقه طيلة مد حكمه حيث الهدف الأول أن تبقى الخلافة في يد الدولة الأموية وأن لا تتحول إلى غيرها، أي مبدأ احتكار السلطة وتوريثها لابنها يزيد بن معاوية وهكذا أصبحت الدولة الإسلامية في تخاصم ونزاع شديد سببه الأول والأخير السلطة على كرسي الحكم وتوريثه إلى أهله ناقضا للعهد الذي كان بينه وبين الحسن لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الدولة الأموية وما عرفته مرحلتهم من انقسامات وصراعات بين القبائل خصوصا وأن طريقة تعاملهم كانت بنوع من القسوة وعدم اللين في تقبل أراء الأخرين وافكارهم، فاستغل أصحاب الفتن الظروف التي تمر بها الخلافة الإسلامية من أجل بث أفكار الكراهية والحقد بين المسلمين واضعاف قوتهم التي لن تكون في غير وحدتهم وتماسكهم كما كان عليه الحال في حياة الرسول ﷺ.

وفي هذه المرحلة التاريخية يجد المسلمون أنفسهم أمام شكل جديد من الخلافة بعد أن احتكرها معاوية بن أبي سفيان لنفسه وأسرته من بعده مخالفا للعهد الذي قطعه للحسن بن علي رضي الله عنه ومن ثمة يتوارثه بني أمية ولا يخرج عنهم، كما تشير الدراسات أن معاوية لم يفلح في تحقيق الاستقرار بين المسلمين وتوحيد كلمتهم حول الخلافة لتنشب صراعات جديدة بأشكال مغايرة ومختلفة خصوصا بعد وفاته ومبايعة أخوه يزيد في الوقت

ذاته هناك من المسلمين من أرسلوا إلى الحسين بن علي من أجل مبايعته على الخلافة لأنه الأحق بها[١٠]، وبالتالي بداية مرحلة جديدة من الصراع والقتال ستبقى مستمرة بين المسلمين إلى المرحلة الراهنة التي يعيشها اليوم بل الأكثر من ذلك ازدادت حدة وقساوة أكثر من قبل لتدخل أطراف أخرى أجنبية مستغلة حالة الفرقة والتباعد والتخاصم بين الشعوب الإسلامية، وقد تطورت الأحداث بعد مبايعة الحسين في عهد يزيد بن معاوية وتم قتله في كربلاء بعد معركة دارت بين جيش الحسين وجيش يزيد بن معاوية، بعد يزيد بن معاوية تم اختيار مروان بن الحكم لأنه أكبر سنا وخبرة ومن ثمة يبقى الحكم في دولة بن أمية ومن بعد تؤول الولاية إلى خالد بن يزيد ليتحول الحكم إلى المبدأ الوراثي بعيدا عن مبدأ الشورى التي حثَ عليه الدين الإسلامي باعتباره معيار سياسي في اختيار الخليفة.

توفي مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ ولم تدم مدة حكمه طويلا ما يقارب تسعة أشهر ليتم مبايعة ابنه عبد الملك بن مروان ثم من بعده عبد العزيز ابن مروان ومن ثمة المحافظة على الخلافة الأموية وأن لا تخرج عن نطاق بن أمية حتى وإن كانوا غير أكفاء لذلك[١١]، لتستمر مسألة الصراع والنزاع والقتال بين المسلمين بعضهم ضد بعض حيث برزت العديد من الثورات الرافضة لحكم بن أمية واحتكارهم الخلافة في نسلهم دون غيرهم من آل البيت، ومن أهم هذه الثورات ما قام به المختار الثقفي الذي خرج عن حكم بن أمية سنة ٦٦ه، ومن المعروف تاريخيا أن فترة الحكم الأموي ميزتها صراعات داخلية بين بني أمية أنفسهم حول من يتولى الخلافة بين الأبناء والأخوة، فكل خليفة يعهد بالولاية إلى أحد أبنائه الأمر الذي عرّضهم للشقاق والضعف، وبذلك أضحت الطرق السياسية الماكرة والخادعة هي الشعار المباح لتحقيق أغراض الحكم والمحافظة على الخلافة وتوريثها لأبنائهم، وهي من العوامل الأساسية في سقوط دولتهم ونهاية مرحلة حكمهم، وتسهيل المهمة لخصومهم الدين استغلوا الفوضى السائدة داخل البيت الأموي المتصارع على السلطة، لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين بنو العباس من جهة وبني أمية من جهة أخرى.

ج- الصراع الأموي والعباسي على الخلافة:

استمرت الصراعات والنزاعات داخل بيت الحكم الإسلامي خصوصا بعد السياسة العدائية التي كان الأمويون يطبقونها على غير الأمويين ومن ثمة بروز بؤر للخلاف والخروج عنهم لما تعرض له المسلمون من تغيرات اجتماعية وسياسية وظهور الفساد والمجون الأمر

الذي يندر بضعف وبداية سقوط الدولة الأموية خصوصا في فترة حكم الوليد بن يزيد بن عبد الملك[١٢]، وهنا بدأ العباسيون في الثورة السرية على الأمويون من خلال محمد بن علي العباسي لتبدأ مرحلة جمع الأتباع والتوسع في نطاق هذه الدعوة السرية التي يجب أن تكون منظمة وموجهة بشكل ذكي نحو أهدافها المحددة مسبقاً، " وبذلك وارى العباسيون أشخاصهم وقدموا القضية التي نصبوا أنفسهم للدفاع عنها، قضية نصرة الحكم الصالح ونصرة الحق والعدل على الباطل والظلم المتصل، ولكي يحكموا خطتهم كانوا لا يأخذون البيعة لأنفسهم بالخلافة إنما يأخذونها لإمام الرضا من آل بيت النبوي حتى لا يثيروا أبناء عمهم العلويين عليهم بل حتى يجمعوهم تحت لوائهم وكانوا يشيعون دائماً أنهم نهضوا لهذا الأمر كي يثأروا للشهداء من أبناء فاطمة الزهراء[١٣]"، وهنا تبدأ مرحلة جديدة من الصراع على السلطة التي ستبقى أثارها إلى المرحلة الراهنة نتيجة ما أسفرت عنه من مظاهر الفرقة والتصدع بين المسلمين ودخول أطراف أجنبية شوهت صورة العالم الإسلامي وقدمته للشعوب المختلفة على أنه مجرد نزاعات دموية من أجل الوصول إلى الحكم.

من أبرز الخلفاء العباسيين الدين برزوا في هذه المرحلة عبد الله بن العباس الذي كانت البداية معه في التأسيس لمرحلة افتكاك الحكم من بني أمية وهو والد إبراهيم الإمام، وأبي العباس السفاح، وابي جعفر المنصور، حيث كانت الانطلاقة للعباسيين من الكيفية التي تولى بها الأمويون الخلافة وهي القوة التي استخدمها معاوية بن أبي سفيان في التخلص من آل بيت واحتكار الخلافة في البيت الأموي فقط حتى وإن كان الحاكم لا تتوفر فيه الشروط المطلوبة التي ذكرتها الشريعة الإسلامية وحثت على العمل بها والتمسك بمبادئها العليا، لذلك فقد كانت فترة الحكم الأموي تشوبها حروب داخلية ونزاعات بين المسلمين في جلّ مراحلها إلى غاية سقوطها وانتقال الخلافة إلى الشق العباسي.

ذ- الصراع العباسي والعلوي استمرار النزاع بين المسلمين:

بعد تولي العباسيين أمور الخلافة لم تهدأ الأوضاع وتنتهي مظاهر الصراع وذلك سببه دائماً المطالبة بالخلافة والأحقية بها فكل طرف يقدم كل الوسائل والأسباب لاحتكار السلطة وتوارثها في نسله من بعده، حيث ظهرت الكثير من الثورات في العهد العباسي منذ مراحله الأولى يقول سامي محمد يوسف الجعفري:" استمر الصراع على السلطة بين العباسيين وأبناء عمهم العلويين وتوالت الثورات المسلحة بينهما تللك التي قادها محمد بن

عبد الله الملقب بذو النفس الزكية لزهده ونسكه، توالت بعدها ثورات مسلحة أخرى وقد بدأت في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور أولاً حركة ثورية قام بها جماعة الشيعة الزيدية على السلطة العباسية وقد حمل لوائها محمد ذو النفس الزكية وأخوه إبراهيم"[١٤]، فالمتتبع للأحداث التاريخية التي عرفتها الدولة الإسلامية منذ مرحلة الخلفاء الراشدين وخصوصا مرحلة خلافة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يجد أنها البداية الفعلية للصراع السياسي على الخلافة التي لم تكن مطروحة على الساحة العامة للمسلمين وإن كانت موجودة بشكل ضمني منذ وفاة الرسول ﷺ وكان بالإمكان أن تحل هذه المسألة بطريقة أخرى دون تأجيج الرعية ونشر الفتن والأفكار الهدامة المنفرة للجماعة وتماسكها، ومن ثمة بروز اتجاهات جديدة داخل الدولة الإسلامية هدفها الأول القضاء على الوحدة الإسلامية ونظامها الصارم المستمد من القرآن الكريم وسنة نبيه الكريم وكيفية التعامل مع المستجدات الصعبة والقاهرة التي فرضتْ عليهم ومن ثمة اختراق الصف الإسلامي والتلاعب به من خلال أفكار بالية لا أساس لها من الصحة واقعياً.

استمر الصراع على الخلافة بين العباسيين والعلويين وهم أبناء العم تربطهم صلة القرابة والدم ولكن رغم ذلك لم تخلوا فترتهم من الصراع والنزاعات الكبرى التي كان دائماً يسعى كل طرف إلى السيطرة على الأخر خصوصا وأن الخلافة قد حسمت للعباسيين، وكانت أولى الثورات تلك التي قادها محمد بن عبد الله الملقب بذو النفس الزكية لزهده ونسكه توالت بعدها ثورات مسلحة أخرى وقد بدأت في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور أول حركة ثورية قام بها جماعة الشيعة الزيدية مع محمد ذو النفس الزكية وأخوه إبراهيم وهم أبناء عبد الله بن الحسن المحض الذي أصبح أبنائه وأحفاده يحملون الثورة على السلطة العباسية[١٥]، وقد فشلت هذه الثورات ولم تستمر لأن الخليفة أبو جعفر المنصور كان صارماً في التعامل معها بالكيفية اللائقة.

وتذكر المصادر التاريخية أن اشتداد مرحلة الصراع بين العباسيين والعلويين كان في عصر المأمون على وجه الخصوص لعدة عوامل من بينها الطريقة التي تعامل بها الخلفاء العباسيين مع العلويين وكذلك ميل الناس إليهم، الأمر الذي اقتضى من المأمون مراجعة كيفية التعامل معهم وإلا ستكون النتيجة على عكس ما يريد هو والعباسيين معه، وبالتالي استمرار القتال وسفك الدماء بين المسلمين والسبب دائما واحد المطالبة بالخلافة والسلطة.

٢ـ شخصية علي بن موسى الرضا وحياته:

اكتسبت شخصية الإمام علي بن موسى الرضا علامات فارقة في تاريخ الإسلام نتيجة الخصال الحميدة التي غرستْ فيه مند المراحل الأولى لحياته، هذا بشهادات من عاشوا معه وخبروا علمه ومعرفته وطريقة تعامله مع الأشياء لذلك فتاريخنا الإسلامي مطالب في المرحلة الراهنة وفي كل الأوقات والأزمنة بمعرفة رموزه الكبيرة ومنابع العلم المتعددة في عالمنا الإسلامي والسعي للاستفادة منها قدر الإمكان في ما ينفع الناس ويوحد كلمتهم على الحق والخير فهما وحدهما الكفيلين بتحقيق نهضة إنسانية طال انتظارها مند سنين طوال.

الإمام علي بن موسى الرضا من الأئمة المعروفين على الصعيد الإسلامي والعالمي فهو من أهل البيت وخاصته و من الفئات التي تميزت بالعلم والمعرفة وتفوقت على غيرها في مناظرات الفكر والفقه في زمانها فكان من الحكماء الكبار علما وخلقاً وهذا ليس كلام إطراء ومبالغة في الوصف وإنما تحليل لصفاته وخصائصه المذكورة عنه في كل المحافل والمنابر، فمن عائلة النبوة ينحدر أصل كريم ومقام رفيع عرّف بها الإمام علي بن موسى الرضا، فهو الإمام الثامن من أهل البيت.

هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بن عبد المطلب بن هاشم(١٦)، نسب شريف حظي به الإمام موسى الرضا كيف لا وهو من سلالة الأخيار وصحابة الرسول الكريم ممن شهد فيهم الحمية والدفاع عن الدين الإسلامي والتمسك به وهو في سن صغير نقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه وما عرف عنه من خصال راقية لا توجد في غيره وهو الذي فدا الرسول ﷺ بالنوم في فراشه لحظة اتفاق أهل الكفر على الغدر به وقتله، فلم يجدوه في مكانه وكان علي نائما فيه، إنها أسرة كريمة فاضلة نهلت الكثير من صفات النبوة، أما عن تاريخ ولادته بالضبط فهناك من الروايات التي ترجعه إلى يوم الجمعة وهناك من يقول بيوم الخميس إحدى عشر ذي القعدة سنة ١٤٨هـ، هذا ما أورده البغدادي في تاريخ اليعقوبي، الرأي الثاني قال كمال الدين بن طلحة أن ولادته كانت في الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٥٣هـ بعد وفاة جده أبي عبد الله الصادق بخمس سنوات، وقيل سنة ١٥١هـ، ولا يهم الاختلاف في مولده كثيرا وإنما المهم دوره المتميز في تاريخ العلماء المسلمين والأئمة الأخيار الذي كان هدفهم الأول والأخير في

الحياة هو خدمة المسلمين وتنوير حياتهم بالأفكار الصحيحة القويمة النابعة من الفهم الأصيل لكتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم.

للإمام موسى بن علي الرضا العديد من الألقاب التي وصف بها لعل من أهمها وأشهرها الرضا، الصابر، الرضي، الوفي، ولكن يبقى أشهرهم الرضا، أما أمه فلها هي الأخرى عدة أسماء قيل: سكنة النوبية، لقبها شقراء النوبية، وقيل اسمها أسماء، الخيزران، مرسية، نجمة، تكتم[١٧]، والعديد من الأسماء الأخرى التي ذكرت في العديد من المصادر التاريخية التي تناولت حياة الإمام الرضا، فلا تهم هذه الأسماء كثيراً بقدر ما يهم المكانة الرفيعة التي امتاز بها الإمام الرضا والتي جعلته من منارات العلم والمعرفة في زمانه وبعدها.

من أزواج الإمام موسى الرضا قيل سميكة وهي أم الإمام الجواد، وقيل أيضا من زوجاته أم حبيبة بنت المأمون العباسي، أما في ما يتعلق بأولاده فلم يترك إلا ولداً واحد وهو الإمام محمد الجواد كما ورد في سيرته والتأريخ للمراحل الكبرى التي عرفتها حياته قبل المأمون وبعده، فلا يمكن فهم الأبعاد الكثيرة التي ميّزت هذا الإمام من دون التطرق إلى مختلف هذه المراحل ومن ثمة الوقوف عند المحطات البارزة فيها التي يمكن إعادة قراءتها قراءة موضوعية في زماننا الحاضر بعيداً عن كل التحيّزات أو الذاتية السلبية التي لا ينتج عنها سوى سوء الفهم وانغلاق الذات على ذاتها فلا تترك مجالا لجسر التواصل والحوار الإيجابي باعتباره وحده القادر على تحقيق الهدف المطلوب وجعل المجتمعات الإسلامية تعيش مرحلة الانفتاح الحقيقي على ذواتها والأخرين المحيطين بها بالشكل الذي يجب أن يكون، وهي طبعاً مسألة حاسمة في ظل التغيرات الراهنة التي يعيشها العالم عامة والمسلمون على وجه الخصوص، فكيف يمكن صياغة قانون تواصلي مقنع يحتضن كل الاختلافات ويعطيها التفسير الإيجابي الذي يمكن الاستفادة منه.

أما مدة إمامته فهي عشرون سنة باعتباره ثامن أئمة أهل البيت وقد كانت مدة ولاية عهده التي تشكل نظارة أفكاره ومصيره أيضا، ثلاث سنوات مند سنة ٢٠١هـ إلى غاية ٢٠٣هـ وهو طبعا تاريخ استشهاده[١٨]، والتي لها مجموعة من الدوافع الجوهرية في رسم معالم هذه الولاية بالعهد والنوايا السياسية للخليفة العباسي المأمون، لأنها لم تكن مجرد إقرار بالولاية حباً في الإمام الرضا وغزارة علمه ومعرفته بل لأغراض أخرى يمكننا أن ندخلها في ما

يسمى بأغراض السياسة وغاياتها التي تبيح كل الأفعال التي من شأنها المحافظة على كرسي الحكم ومستقبل الخلافة خصوصاً وأن المرحلة التي حكم فيها المأمون ميّزتها حركات وصراعات داخلية وخارجية كبيرة جعلت من المأمون يبحث عن الحلول الممكنة لتخطيها بسلام، ومن ثمة النجاح في اسكات الثائرين الرافضين للخلافة العباسية والمطالبين بخلافة أهل البيت الدين انقسموا هم أيضاً إلى مجموعة من الفرق والتي كان منشأها قديم يعود إلى المرحلة الأولى من الخلافة منذ البوادر الأولى للخلاف الذي كان بين المهاجرين والأنصار ليتوسع مجال الصراع بعدها في عهد عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب على وجه الخصوص.

٣ـ ولاية العهد للإمام موسى الرضا والأبعاد السياسية الخفية:

تعتبر ولاية العهد التي لم يكتب لها التجسّد فعليّاً لأسباب يعرفها الجميع في عهد الخليفة العباسي المأمون والمخضات السياسية الكبرى التي نتجت عنها الكثير من المسائل ذات العلاقة الوثيقة لها ومن ثمة تعدد القراءات حول هذه الحادثة التاريخية الفريدة من نوعها في تاريخ الخلافة الإسلامية والاختراقات التي تعرضت لها الدولة الإسلامية من زوايا مختلفة، خصوصاً في تلك الظروف الحرجة التي ميّزت الدولة العباسية في تلك المرحلة.

فالحديث عن هذه البادرة السياسية لها أبعادها المعبرة عنها بمعنى أنها لم تكنْ هكذا مجرد حادثة عفوية بل لها مجالاتها المتعددة على جميع الأصعدة لأن المأمون كان ذكياً في تصرفه من أجل الخروج من الأزمة التي تعيشها الدولة الإسلامية، وبالتالي الأهداف والأغراض التي يسعى إليها حيث قام المأمون باستدعاء علي بن موسى الرضا بعد أن رفض الحضور في المرة الأولى لكن اصرار المأمون عليه يجعله يقبل بالوضع لمعرفته المسبقة بما سيؤول إليه الوضع إن استمر في الرفض، فالمأمون مصممٌ على رأيه تصميماً لا رجوع فيه هذا ما يتضح في خطابه المباشر إليه قائلا:" إني قدْ رأيت أن أقلدك أمر المسلمين وأفسخ ما في رقبتي وأضعه في رقبتك" كما قال له كذلك " يا ابن رسول الله قد عرفتْ همتك وفضلك وورعك وزهدك وأراك أحق بالخلافة مني"[١٩] وتشير بعض الدراسات التاريخية في هذا الصدد أن الإمام علي بن موسى الرضا كان يدرك خطة المأمون وما يريد الوصول إليه من جراء هذه الولاية لذلك رفضها وحاول التخلص منها بكل الطرق والسائل الممكنة لكن إصرار المأمون عليها لم يتركْ له أي خيار للرفض ومن ثمة فعليه القبول بالولاية كرهاً لأن

المأمون كان مصمماً على تنفيذ خطته بكل الطرق والوسائل المتاحة، لذلك كان ردُ الإمام موسى الرضا بالقبول بشرط أن لا يقوم بتولية أو عزل أو الافتاء في أمر من أمور الدولة، حيث أقام المأمون حفلة خاصة بهذه المناسبة ولقب بالرضا وتم تغيير اللباس إلى الأخضر وطرح السواد وكتب إلى الأفاق من أجل أخذ البيعة للإمام الرضا كما ان التكليف بولاية العهد كان بموجب وثيقة رسمية وقّع عليها الطرفان وشهد عليها كبار رجال الدولة.

ومن الأسباب التي يمكن الوقوف عندها في قبول ولاية العهد هي تهديد المأمون بقتل علي الرضا إذا لم يقبل بولاية العهد حيث قال له:" إن عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدك، وقال من خالف فاضربوا عنقه، ولابد من قبول دلك"، وقيل للإمام موسى يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال ما حمل جدي أمير المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى" ومن ثمة تبرز الملامح الكبرى التي ميّزت القبول بولاية العهد في ظل صراعات سياسية كبيرة تعصف بالدولة الإسلامية وتتساقط فيها الرؤوس وكأنها أوراق الخريف المتناثرة هنا وهناك بفعل الرياح القوية التي تكفُ عن الهبوب، فموسى الرضا لم يكنْ من أولئك الأشخاص الساعين إلى السلطة والحكم الباحثين عنها بكل الطرق والوسائل وهو ما نجده في كلماته الواضحة التي جاء فيها:" قدْ علم الله كراهتي لذلك فلمّا خيْرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترتُ القبول على القتل ويحهم أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبيّاً رسولا، فلمّا دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز قال:" اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليمُ[٢٠]" ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك بإكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك"[٢١] إن هذه الكلمات تحمل في دلالتها الكثير من المعاني ذات العلاقة الوطيدة بمفهوم ولاية العهد والأسرار اللصيقة بها من عدة زوايا بمعنى الأبعاد التي تختزلها في مضمونها وسياقها التاريخي وخلفياتها السياسية بالدرجة الأولى كونها جاءت في حقبة تاريخية مليئة بالألغاز والظروف الصعبة والمصيرية في تاريخ الدولة الإسلامية في ظل تنافس على السلطة وصراع دموي على الخلافة ولاية العهد مند خلافة معاوية بن أبي سفيان، ولأن استمرار القتل الدموي بين المسلمين أصبح من الأمور العادية المقبولة في وسطهم وكأنها من سنن الأولين والصحابة الأخيار فقد أراد الإمام موسى الرضا من خلال قبوله بولاية العهد أن يحقن دماء المسلمين وأن يحفظ حياتهم من بطش المأمون وقسوته فكيف لمن قتل أخاه بغية الوصول إلى الخلافة والمحافظة على السلطة والحكم أن تأخذه رأفة ورحمة بمن يهددون

خلافتهم وعرشه فهذا من الأمور غير المنطقية التي لا يقبلها عقل قويم سليم إنها تخرجُ عن جميع الأطر الاجتماعية، ولذلك كان حقن دماء المسلمين وتوطيد العلاقة بين المأمون وأهل البيت من الأهداف والغايات التي أراد الإمام موسى الرضا تكريسها والمحافظة عليها ومن ثمة اعتراف المأمون بهذه المكانة التي يحوزها أهل البيت في مرحلة أولى فقط لأن هذه النطرة ستتغير في ما بعد ويتغير معها منطق المواجهة بين المأمون والإمام موسى الرضا.

من هذا المنطلق تعددت القراءات واختلفت في تشخيصها للأبعاد التي يمكن استخلاصها من حادثة تعيين الإمام موسى الرضا على ولاية العهد انطلاقاً من أنه لا يمكن أن تكون خالية من الخلفيات والدوافع السياسية التي بنى عليها المأمون قراره هذا حيث برزتْ العديد من الأفكار في هذا الصدد من بينها رأي الأصفهاني الذي انطلق من فكرة أن المأمون أراد من خلال تولية الإمام موسى الرضا ولاية العهد الوفاء بالعهد الذي قطعه للعلويين حين كان في خلافٍ مع أخوه الأمين ونصرتهم له عليه، أما موقف ابن خلدون الذي كان أكثر موضوعية إلى درجة كبيرة في قراءة هذه الواقعة فيتمثل في أن المأمون لّما رأى كثرة الحزب العلوي واختلاف دعاتهم فعهد به إلى الإمام موسى الرضا[٢٢]، وغيرها من الأفكار الأخرى التي نتجت عن هذا الاختيار الذي كان في صالح المأمون بالدرجة الأولى من أجل تأمين ولاية عهده وضمان استقرار خلافته وتمكين القبضة على كافة مجالات الحياة في تلك الفترة الزمنية التي سادها الصراع والتنازع على السلطة بطرق شتى ووسائل مختلفة هدفها الأول والأخير الابقاء على حالة الصراع والنزاع داخل الدولة الإسلامية وما يؤكد ذلك بشكل أكثر وضوحاً تضحية المأمون بأخيه الأمين من أجل السلطة والخلافة وبالتالي هل يمكن لمن قتل أخاه أن يسلمها لغيره البعيد بهذه الطريقة البسيطة، إن المنطق السليم يرفض ذلك لأن التفريط في ولاية العهد يقتضي معرفة الكثير من الأسباب ذات العلاقة الوطيدة بهذه الحادثة ومن ثمة فهل كان المأمون مأمونا حقيقة في العهد بولاية العهد للإمام موسى الرضا؟.

بعد مرور عامين من هذه الواقعة التاريخية المتمثلة في اقرار الخليفة المأمون بولاية العهد إلى الإمام موسى الرضا بدأت تبرز ملامح جديدة في العلاقة القائمة بينهما حيث نتج عن ذلك تغيّر طريقة المعاملة من طرف المأمون خصوصاً بعد أن داع صيتُ الإمام الرضا والمكانة المرموقة التي زادت في أوساط المسلمين حباً واحتراما له ولمكانته العلمية الكبيرة التي عُرِفَ بها هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الإمام موسى الرضا كان قريباً من المسلمين يتفقد

أحوالهم ويقف على معاناتهم وآلامهم ويسمع إلى شكواهم وهمومهم، ومن ثمة القيمة العالية التي تزداد كل يوم للإمام موسى الرضا، يقول أيوب الحديري" ما إن مضت على تصدي الإمام الرضا لولاية العهد أكثر من سنتين حتى تنكر له المأمون وفرض عليه الرقابة الشديدة والإقامة الجبرية في بيته، ومنع العلماء وخواص شيعته من التردّدْ إليه، وما ذلك إلاّ لأنه لم يحصل على ما أراد من توليته العهد، بل رأى أن الإمام قد ترسّخت مكانته وازدادت شهرته وارتفعت منزلته في نفوس المسلمين حينما أسندتْ إليه ولاية العهد..."[٢٣] فجميع هذه الأشياء كانت من العوامل المساهمة بشكل مباشر في ثورة المأمون على الإمام موسى الرضا ومنعه من أداء الكثير من الأمور مثل إقامة صلاة العيد التي خرج فيها حافي القدمين متشبهاً بالرسول الكريم ﷺ لما رأى في ذلك من خطورة على مكانته وسمعته كخليفة للمسلمين وأنهم وجدوا البديل الحقيقي القادر على قيادة أمور الدولة الإسلامية ورعاية أحوال المسلمين من جميع جوانبها، لتزداد شدة المضايقات التي تعرض لها من طرف المأمون إلى حد كبير جداً جعلته يدعوا الله تعالى بآن يخلصه من شر المأمون ومكره، فالإمام موسى الرضا كان على دراية بخطة المأمون من توليته ولاية العهد والأهداف التي كان يريد الوصول إليها من وراء ذلك فلم يبقى المأمون مأموناً ولا يمكن الوثوق به حتى وإن كان اسمه المأمون وهو الذي تخلص من أخيه الأمين بطريقة بشعة سيذكرها التاريخ بأحرف من سواد تبقى تلاحق حكام وخلفاء بني العباس الدين لم يختلفوا كثيراً عن خلفاء بني أمية ليستمر الصراع والمكر والخداع من أجل المحافظة على السلطة التي استمرت فترة زمنية طويلة مند أول شرارة داخل المسلمين حول الخلافة هذه الشرارة التي ولّدتْ نار ملتهبة لم تنطفئ إلى غاية اللحظة هذه ونحن نكتب هذه السطور حول شخصية الإمام موسى الرضا الذي كان هو الأخر ضحية لها على الرغم من أنه لم يطلب السلطة والخلافة بل كان يفضلُ العلم والمعرفة وأداء رسالة الإمام الناصح في أمور الدين والدنيا.

كما تؤكد العديد من المصادر التاريخية التي تناولت حياة الإمام موسى الرضا أنه المسؤول الأول عن وفاته من خلال دس السم في طعامه والتخلص منه بطريقة ذكية دون أن يترك أي أثر على ذلك وهذا لا يستبعد من جهة الكيفية التي تعامل بها المأمون مع الإمام موسى الرضا والطريقة التي تعامل بها معه حيث كان يضمر عكس ما يظهر ومن ثمة كان القضاء عليه من الأمور التي توطد خلافته وتجعله يكسب ود المسلمين جميعهم باعتباره

الخليفة الوحيد الذي أعطى لأهل البيت المكانة التي يستحقونها والوحيد الذي ولى خليفة ليس من نسبه كخليفة للمسلمين في بادرة هي الأولى من نوعها في تاريخ الدولة الإسلامية، وعلى هذا الأساس يمكننا تسجيل مجموعة من الملاحظات المهمة ذات العلاقة الوطيدة بولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا وهي:

- وراء ولاية العهد محاولة جريئة من المأمون من أجل التخلص من الأوضاع الحرجة التي تعيشها الدولة الإسلامية في تلك الفترة الزمنية في ضل تزايد الصراعات والنزعات داخل بيت الحكم العباسي بعد قتل المأمون أخاه الأمين.
- اخماد ثورات العلويين ومطالبتهم بحقهم في الخلافة بعد أن أخذَ منهم بالقوة منذ حكم معاوية بن أبي سفيان ومن ثمة البحث عن اعتراف شرعي منهم بخلافته وحكمه فيضمن له ذلك توطيد حكمه وخلافته بالشكل اللازم والمطلوب.
- كسب المزيد من احترام المسلمين على اختلاف أصلهم سواءٌ كانوا عرباً أو فرس وبالتالي التقليل من قيمة الإمام موسى الرضا والتفاف الناس حوله من جميع المناطق من خلال استمالته إليه وإعطائه مكانة كبيرة ضمن خاصّتهِ وأهل حكمه ومشورته.
- يقول المأمون للريّان بن الصلت:" ويحك يا ريّان أيجسرُ أحدٌ أن يجيئ إلى خليفةٍ وابن خليفة قد استقامت له الرعيّةُ والقوّاد واستوت له الخلافة فيقول له:" ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟ أيجوز هذا في العقل..."[٢٤] وما يستشفُ من هذا الكلام وجود خطةٍ محكمةٍ يدرك مالاتها المأمون جيداً لأنه سيتخلص من الإمام موسى الرضا بعد أن ينجح في سياسته ويحقق أغراضه التي تضمن له توطيد دعائم حكمه وكسب ودّ المسلمين ومحبتهم ومن ثمة تحقيق الفائدة المرجوة من خطته التي أسفرتْ عن مقتل الإمام الرضا والتخلص منه بشكل نهائي، مع التأكيد على أن الإمام كان على دراية حقيقية بكل مناورات المأمون التي لا تستطع التغلب على دكائه الفذ بل من خلال القوة التي استخدمها المأمون في ذلك وهو ما يؤكد عليه باقر شريف القرشي في مؤلفه:" حياة الإمام موسى الرضا بقوله:" وبرز الإمام موسى الرضا على مسرح الحياة السياسية في الإسلام كألمع سياسي عرفه التاريخ الإسلامي، فقد كان صلباً في مواقفه السياسية فلم تخدعه الأساليب البرّاقة ولا الأماني المزيفة التي قدّمها له الخليفة

العباسي... ولم تخفى على الإمام دوافع المأمون السياسية بتنازله عن رئاسة الدولة وتقديمها بسخاءٍ له"[٢٥].

المحور الثاني

الأبعاد الإنسانية والأخلاقية التي شكلتْ معالم مشروعه التنويري

تمهيد: تعددت الرؤى واختلفت في قراءة أبعاد الفكر الإنساني عند الإمام موسى الرضا وذلك مردهُ بالدرجة الأولى الغنى الكبير الذي امتاز به هذا الإمام من جهة والمعارف المتنوعة التي بحث فيها من جهة أخرى، بمعنى القيمة العلمية العالية التي عُرِفَ بها طيلة حياته المليئة بالمنجزات على أصعدة مختلفة فلا يمكن حصر معرفته في جانب دون أخر لأن ذلك يتناقض من دون أي شك مع قيمته ومكانته المتميزة في تاريخ العالم الإسلامي، فالموضوعية العلمية تقتضي من كل باحث في تاريخ الإمام موسى الرضا ضرورة تقديم صورة واضحة المعالم حول هذا المفكر الفقيه الذي لم يترك مجالاً معرفياً إلا ونهل من منهله الذي لا ينضب في عالمنا الإسلامي الحافل بالمنجزات والأثار العلمية المنسية بين جدران النسيان والحقد الدفين الذي انتشر بين المسلمين كالنار في الهشيم فلم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وطالها وأمتد إليها في جميع جوانبها، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُ على نجاح أعداء الأمة في مشروعهم التهديمي الممتد في أعماق التاريخ الإنساني الإسلامي إلى الارهاصات الأولى في جدلية الصراع بين المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى التي تكيدُ للمسلمين كيداً لأن هدفها الأول والأخير نابعٌ من كراهية مسمومة غير قابلة للتداوي أو العلاج، ومن ثمة فالإمام موسى الرضا من بين الشخصيات المهمة في تاريخ العالم الإسلامي نتيجة ما تميّز به من قيمة معرفية وعلمية مكنته من اعتلاء هرم العلماء والأئمة من خلال المناظرات التاريخية التي قام بها ضد مختلف علماء الديانات والملل الأخرى وكان دائما يتفوق عليهم جميعهم.

١ـ علوم ومعارف الإمام موسى الرضا:

جمع الإمام موسى الرضا بين العديد من المعارف والعلوم التي تفننَ في تعلمها وتعليمها على مراحل متعددة ساهمت كلها في إرساء دعائم الحياة الإسلامية في تلك الفترة الزمنية الأمر الذي يشير إلى القيمة العليا التي ميّزته وجعلتْ من رائداً مهماً من رواد الفكر في العالم الإسلامي والدليل على ذلك المؤلفات المهمة التي خلفّها الإمام في الطب

والفلسفة، الشريعة، التصوف، وغيرها من المجالات الأخرى التي رسمت ملامح الإمام وحضوره القوي في تاريخ الحضارة الإسلامية عبر المناظرات الكبيرة التي كان الأفضل فيها والمقنع بحصافة أفكاره اليانعة التي تنمُ عن مدى القوة العلمية والمعرفية التي تمتعَ بها الإمام موسى الرضا، كتب في الطب رسالة جليلة سماها " الرسالة الذهبية" والتي تناول من خلالها أنواع الأغذية وأصنافها والفوائد المترتبة عنها في مجالات مختلفة تخص الجسم البشري وكيفية عمله، وجملة الشروط والمعايير التي يجب اتباعها تفادياً للإصابة بمجموعة من الأمراض على اختلافها وتنوعها من قبيل عدم الاسراف في تناول الطعام وغيرها من الأمراض الأخرى المرتبطة بالإسراف في تناول الأطعمة، وهذه الرسالة أهداها الإمام الرضا إلى المأمون كما تم شرحها من طرف العديد من الشراح لقيمتها العلمية والمعرفية الكبرى يقول في هذا الصدد:" فإن الاسراف فيه يعرّض الإنسان للإصابة بارتفاع الضغط الدموي والإصابة بداء السكري، وتصلّب شرايين القلب وغير ذلك من الأمراض الخطرة، ومن المؤكد أنّ وصايا الصحية لو طبقتْ على مسرح الحياة لجعلت الطب وقائياً"(٢٦)، فلا يتكلم في الطب وفنونه إلا العارف بمسالكه وألغازه الدقيقة لذلك يحسب على الإمام موسى الرضا مساهمته في الحقل الطبي في تلك الفترة الزمنية من تاريخ الدولة الإسلامية. وعلى هذا الأساس تعتبر الرسالة الذهبية التي كتبها الإمام موسى الرضا من المصادر المهمة والقليلة التي تكلمت على أسرار الطب وخبايا الصحة الجسمية في عالمنا الإسلامي لذلك أعطاها المأمون مكانة خاصة وهو الذي كان مشجعاً وفياً للكتب والمؤلفات وكل ما يمكن الاستفادة منه في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية حيث تذكر المصادر التاريخية التي عالجت هذه المسألة أن المأمون أمر بكتابتها بماء الذهب والاحتفاظ بها في المكتبة الإسلامية.

يعد الإمام موسى الرضا من أوائل الدي شبهوا جسم الإنسان بالمملكة الصغيرة المتكاملة فقال: إن هذه الأجسام أسست على مثال الملك، فملك الجسد هو ما في القلب والعمال والعروق في الأوصال والدماغ، وبيت الملك قلبه وأرضه الجسد، والأعوان: يداه ورجلاه وعيناه وشفتاه ولسانه وأدناه وخزائنه: معدته وبطنه وحجابه وصدره"(٢٧) حيث احتوت الرسالة على مجموعة من الأمراض وكيفية علاجها والشفاء منها، فقد أبدع الإمام موسى الرضا في حقول معرفية شتى يصعب الإلمام بها أو الإشارة إليها جميعها حيث نجده حاضراً في علوم الشرع والدين والفقه والتفسير والتصوف والفلسفة وغيرها من العلوم

الأخرى التي عبرّت عن قوة الإمام وذكائه الخارق الذي مكنه من التفوق على خصومه في كل المناظرات التي قام بها والتي جمعت علماء من ديانات مختلفة وملل متعددة، لكنهم لم يصمدوا جميعها أمامه.

إن التاريخ الإسلامي لم ينصف الكثير من الأحرار فيه من علماء وأئمة ودعاة دين حقيقي غير أولئك المزيفين الدين يتسترون وراء حججٍ واهية لا أساس لها من الصحة لذلك تقتضي الموضوعية العلمية العودة إلى تلك الحقائق وتوضيح الخلل فيها مع تبيين الخطأ من الصحيح فيها لأن الدراسة التاريخية الحقيقية يجب أن تسير وفق هذه الرؤية بعيداً عن كل التأويلات والتفسيرات وفق دوافع وأغراض شخصية يقول باقر شريف القرشي:" أما دراسة التاريخ الإسلامي فيجب أن تكون موضوعية ونزيهة وبعيدة عن التيارات المذهبية والعواطف التقليدية فقد خلط التأريخ بكثير من الموضوعات أوجبت خفاء الحق وستر الحقائق، فمن الواجب بدل المزيد من الجهد لمعرفة الصحيح من السقيم والحق من الباطل"[٢٨] فالكثير من الأفكار التي كنّا نعتقد أنها صحيحة ثبت أنها خاطئة وتفتقر إلى الحجة الدامغة فليس كل ما ينّقل ويكتبُ في كتاب ما صحيح ويمكن الاعتماد عليه في تقصي الحقيقة والسعي ورائها.

حمل الإمام موسى على عاتقه مهمة نشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة وتأسيس منظومة أخلاق تتماشى مع ضوابط الشرع وما حثّ عليه القرآن الكريم باعتباره الدستور المقدس الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، إنه بمثابة المنهج الأخلاقي القويم الذي يجب اتباعه والالتزام بكل ما ورد فيه دون استثناء إذا أردنا النجاة وتحقيق الغاية من وجودنا على هذه البسيطة، بالإضافة إلى السنة النبوية الشريفة وما تضمنته من تعاليم مستوحاة من كلام الله تعالى المنّزل على رسوله الكريم ﷺ فهو لا ينطق على الهوى وإنما هو وحيٌ يوحى علّمه شديد القوى، ومن ثمة التأكيد على ترسانة من القيم الأخلاقية التنويرية التي إن غابت غاب الوعي الإنساني فأصبحت الغريزة هي مركز القيادة فتنحرف به إلى غير ما يجب أن يكون وإن حضرت تسلّم العقل الصحيح مركز القيادة فينجو صاحبه ويحظى بالمكانة الرفيعة والقيمة العليا التي خلقَ بها، وأفضل دليل يؤكد الأبعاد الأخلاقية التي سعى الإمام إلى تجسيدها على أرض الواقع هو الصفات الجليلة التي تميّز بها من فضيلة وعلم وزهد وورع وتقوى وكيفية معاملة الناس دون تمييز على أساس نسبٍ أو ملك أو

مكانة، وهذه الصفات إذا جمعتْ في شخص ما جعلته يرقى إلى مرتبة أحباء الله وخاصته والمقربون من العلماء المطالبين بحمل رسالة الله تعالى والدعوة إلى الفهم الصحيح للدين الإسلامي بعيدا عن النزاعات والفروقات والفتن التي نخرتْ جسد الأمة الإسلامية منذ المراحل الأولى للحكم الإسلامي بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ.

هناك الكثير من المراحل في تاريخ الدولة الإسلامية التي تخللتها فجوات وفرغات استغلها أعداء الدين في ادخال مفاهيم جديدة لم تكنْ موجودة في شريعة الإسلام ومن ثمة ترسيخها عبر التاريخ لتصبح وكأنها موجودة بالفعل، بل الأكثر من ذلك يتم الدفاع عنها والاعتقاد الدو غمائي بها حتى وإن غابت الحجج الكافية لتأكيدها وتبريرها بشكلها الصحيح، " فمما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية عاشت وما تزال ردحاً من الزمن في فراغ حضاري استدعى الأخر بمفاهيمه وأنساقه المعرفية وحداثته في تحريك الحياة مع ما تبعه من تغييب أو تجاهلٍ أو إهمالٍ لقيم الإسلام ومقولاته ومفاهيمه التي تضبطُ هذه الحركة حالاً ومألاً، فأصبحتْ الأمة مدعوةٌ دائما في إطار الجدلية القائمة في حياتنا الثقافية بين التراث والحداثة إلى التخلي عن قيمها وأنساقها المعرفية والتعلق بقيم الأخرين وأنساقهم المعرفية تحت زعم التحديث والتجديد"[٢٩]، هذه الثنائية في حقيقتها ليست وليدة الفترة المعاصرة من تاريخ الإسلام بل تعود إلى تاريخا القديم تحت مسميات مختلفة من قبيل الخلاف حول الإمامة وولاية العهد، التشققات والتصدعات في بناء الأمة الإسلامية بخروج تلك الفئة عل حكم علي بن طالب كرّم الله وجهه وغيرها من الأحداث التي بقيت تنتشر داخل جسد العالم الإسلامي دون القدرة على استئصالها من جدورها والتخلص منها بشكلٍ نهائي.

إن تجربة العيش المشترك تقتضي بالضرورة توفر مجموعة من الشروط الجوهرية أولها الاعتراف كقيمة أخلاقية نابعة من صميم الذات تجاه الأخر معها بعيداً عن كل مظاهر الفرّقة والتمييز والكراهية التي تكون نتائجها دائما سلبية على الحياة الإنسانية في جميع صورها وأشكالها، بل أكثر من ذلك قدْ تؤسس لحياة يغيب فيها الاعتراف بقيمة رموز الأمة ومكانتهم المقدسة داخل كل مجتمع باعتبارهم من أولياء الله وخاصته المقرّبين الحاملين لرسالته السمحاء فوق هذه الأرض، فالعلماء ورثة الأنبياء لذلك ميّزهم الله تعالى عن غيرهم من الناس وأعطاهم المكانة الحقيقية التي تليق بهم، فكيف يمكن أن ننسى ذلك الفضل والقيمة الرفيعة التي يحملونها؟.

لقد كان سعي الإمام موسى الرضا قائم على تشخيص واقع الحياة الإنسانية في كل تفاصيلها وفي جميع جوانبها ولا يمكن أن يقتصر على مسألة واحدة دون أخرى أو التركيز على الحياة الأخروية دون الحياة الدنيوية، بل مشروع متكامل يدعوا إلى الانفتاح على الأخرين والتعايش معهم في ظل الشريعة الإسلامية التي فتحت أبوابها للجميع دون أي تمييز أو محاباة يقول:" إياك وقول الجهّال من أهل العمى والضلال الذين يزعمون أن الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب والعقاب وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء، ولو كان في الوجود لله عزّ وجل نقص واهتضام لم يوجد في الأخرة أبدا، ولكن القوم صموا وعموا وتاهوا عن الحق من حيث لا يعلمون[٣٠] وذلك ما نجده في قوله تعالى:" ومن كان في هذه أعمى فهو في الأخرة أعمى وأضّلُ سبيلا" سورة الاسراء الآية ٨٢. وفي هذا تأكيد صريح على جملة المعاني الجوهرية التي يجب التأسيس لها في قراءة تاريخنا الإسلامي المشترك الذي كان دائما يدعوا إلى تجربة العيش المشترك والوحدة الإنسانية التي تضمن وحدها فهم معنى الوجود الإيجابي بعيداً عن كل مظاهر الحياة التي لا أساس لها من الصحة لأن القيم الحضارية الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة كانت دائما تسير وفق منحى إنساني وأفق أخلاقي مبنيٌ بالأساس على التنوير كقيمة أساسية تدفع نحو التطور والتقدم وبناء حضارة الإسلام الحقيقية التي بلغت اوّج تقدمها في مرحلة بناء الدولة الإسلامية وما حققته من إنجازات عظيمة في شتى أصناف العلوم والمعارف، فالغاية من الوجود تكمن في هذه القيم الحضارية المضبوطة بدقة المحددة لمعنى الحياة كما ذكرت في القرآن الكريم يقول تعالى:" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعلُ فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمد ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون"[٣١] فالخطاب الديني كان دائماً دقيقاً في أوامره ونواهيه واضحاً قي معانيه ومفاهيمه بغية ترسيخ مجموعة القيم التي يجب الوقوف عندها في قراءة كل المعاني والقيم الواردة فيه على تعددها واختلافها.

الخاتمة:ـ

في نهاية هذه الورقة البحثية التي أردنا من خلالها الولوج إلى بعض الأسئلة المحورية ذات العلاقة الوطيدة بحياة الإمام موسى الرضا والجوانب المسكوت عنها في مختلف الدراسات العربية والإسلامية نتيجة بعض الأمور الذاتية والحساسيات السياسية التي دائما تبعد صاحبها عن الحقيقة الموضوعية في مثل هذه القضايا الجوهرية التي يجب البحث فيها

وإعادة قراءتها من جديد بما يتوافق مع الأبعاد الراهنة التي يعيشها عالمنا الإسلامي في المرحلة الراهنة وما يعيشه العالم من تغيّرات وتحولات رهيبة شملت جميع مناحي الحياة الإنسانية في كل تفاصيلها ومجالاتها الأمر الذي يقتضي إعادة طرح رؤى ومقاربات جديدة تتوافق مع الواقع المعاش من جهة وتؤسس لمرحلة استشرافية في العلاقات الجامعة بين دول العالم الإسلامي من خلال إعطاء القيمة والمكانة للرموز العلمية والمعرفية الكبيرة التي يمكن الاستفادة منها ومن علومها في ترسيخ قيم إنسانية بعيداً عن الصور المشوهة التي تفننَ أعداء الإسلام في رسمها وزخرفتها لغرض واحد لا يخفى على أصحاب العقول النيّرة الراجحة، ومن ثمة فقد شكلتْ لحظة الإمام موسى الرضا لحظةً حاسمة في تاريخ العلماء الأفذاذ المسلمين ومساهماتهم الجليلة في إرساء دعائم العلم والمعرفة وترسيخ قيم الدين الإسلامي التي هي في المقام الأول قيم تعايش وتعاون بين الشعوب والأمم ولم تكنِ أبدا مدعاةً للانغلاق والتعصب وعدم قبول أراء الأخرين على اختلاف توجهاتهم وثقافاتهم وعقائدهم.

إن الحديث عن الإمام موسى الرضا من الأولويات التي فرضها واقع إسلامي مثقلٌ بالهموم والمشكلات السياسية التي سيطرت على كافة مناحي الحياة الإنسانية لتأخذ مكان القيادة والأمر وحدها حتى وإن كانت خاطئة ضالة، في حين الواقع يفرض معادلة أخرى قوامها معرفة العوامل والأسباب الحقيقية التي تجعل فئة معينة تستخف بجهابذة الفكر وتعمل بكل الطرق والوسائل المتاحة من أجل تشويه الحقائق وتزييفها وعدم ترك المجال للعمل الموضوعي الذي يمكن الاستفادة منه في توطيد أطر التقارب والتآخي والتعايش الديني الذي هو الأساس الأول لتجربة العيش المشترك والاعتراف بقيمة الانتماء إلى هذه الحضارة العريقة الضاربة بجدورها في عمق الإنسان الباحثة عن المكانة التي يستحقها بوصفها الكائن المفضل عن غيره من الكائنات الأخرى المتمتع بالكرامة والحرية والاستقلالية.

هوامش البحث

(١) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول ١٣٢ه إلى ٢٣٢، ص، ٢٠
(٢)- أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة نصير مروة، دار الساقي، ١٩٩٧، ص، ٠٥
(٣)- الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٢١.
(٤) - الأشعري علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص، ٨٥.
(٥) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص،٢٢.
(٦) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص،٢٤.
(٧) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص،٣٦.
(٨) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص،٣٧.
(٩) - المرجع نفسه، ص،٤١.
(١٠) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص،٤٥.
(١١) - أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ط النجف، ١٩٣٩، ص، ١٨٠.
(١٢) - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثامنة، ص ١٢.
(١٣)- المرجع نفسه، ص ١٣.
(١٤) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص،١١٦.
(١٥) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص،١١٦.
(١٦) - محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨، الجزء١، ص، ٧٦.
(١٧) - شذرات في حياة الإمام موسى الرضا، إعداد شعبة التبليغ قسم الشؤون الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ه، ص٩.
(١٨) - أيوب الحديري، لمحات من حياة الإمام الرضا وأخته فاطمة، موجود على الموقع الالكتروني:www.pdf factory.com.

(١٩) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٢٠) - سورة يوسف الآية ٥٥.

(٢١)- أيوب الحديري، لمحات من حياة الإمام الرضا وأخته فاطمة، المرجع السابق، ص،٢٢.

(٢٢) - سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص٢٥٠.

(٢٣) - أيوب الحديري، لمحات من حياة الإمام الرضا وأخته فاطمة، المرجع السابق، ص، ٢٤.

(٢٤) - شذرات في حياة الإمام موسى الرضا، إعداد شعبة التبليغ قسم الشؤون الدينية، المرجع السابق، ص٧٩.

(٢٥) - باقر شريف القرشي، حياة الإمام علي بن موسى الرضا، الجزء الأول، منشورات سعيد بن جبير، ١٤١٢هـ، ص،١٢.

(٢٦) - باقر شريف القرشي، حياة الإمام علي بن موسى الرضا، المرجع السابق، ص،١٤.

(٢٧) - محمد مهدي النجف، الرسالة الذهبية المعروفة بطب الإمام موسى الرضا عليه السلام، مطبعة الخيام ١٩٨٢، ص١١.

(٢٨) - باقر شريف القرشي، حياة الإمام علي بن موسى الرضا، المرجع السابق، ص ١٦.

(٢٩) - محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة الدوحة قطر، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ١٣.

(٣٠) - باقر شريف القرشي، حياة الإمام علي بن موسى الرضا، المرجع السابق، ص ١١١.

(٣١) - سورة البقرة الآية ٣٠.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١- أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ط النجف، ١٩٣٩.

٢- الأشعري علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.

٣- الشهرستاني، الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، القاهرة، ١٩٥٦.

٤- أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة نصير مروة، دار الساقي، ١٩٩٧.

٥- أيوب الحديري، لمحات من حياة الإمام الرضا وأخته فاطمة، موجود على الموقع الالكتروني:www.pdf factory.com.

٦- باقر شريف القرشي، حياة الإمام علي بن موسى الرضا، الجزء الأول، منشورات سعيد بن جبير، ١٤١٢هـ.

٧- سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول ١٣٢هـ إلى ٢٣٢.

٨- شذرات في حياة الإمام موسى الرضا، إعداد شعبة التبليغ قسم الشؤون الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.

٩- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثامنة.

١٠- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨، الجزء١.

١١- محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة الدوحة قطر، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

١٢- محمد مهدي النجف، الرسالة الذهبية المعروفة بطب الإمام موسى الرضا عليه السلام، مطبعة الخيام ١٩٨٢.